مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي هدانا إليه صراطا مستقيما، وجعلنا من أهل طاعته، وأكرمنا بالإسلام، وهدانا للإيمان، وأصلي على خاتم رسله وأنبيائه، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين من ربّه، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الأخيار، وأصحابه الأبرار، وبعد:

فهذا هو الكتاب الأخير في السلسلة التي ابتدأتها منذ أكثر من عشر سنوات، وإنني أحمد الله على أن وفقني لإتمام هذا العمل، وإني لأرجو من الله القبول، وأن يجعل نيتي خالصة لوجهه، وأن يثيبني على عملي هذا في يوم لقياه، كما أعانني على إتمامه في هذه الحياة.

لقد أكرمني ربي بأن لاقت هذه السلسلة قبولا حسنا عند عباد الله، وإني لأرجو ربي أن يتقبلها مني، ويرضى عن عملي بفضله وكرمه وإحسانه، وأن يغفر لي ما وقعت فيه من زلل، وتقصير في العمل، وإني لأرجو من قراء هذه السلسلة الدعاء لكاتبها بأن يتجاوز الله عن زلاته، ويصفح عن آثامه، لعلّ الله يرحمني ببركة دعوة صالحة من عبد صالح.

وقد طال انتظار القراء لهذا الجزء، وحال دون إخراجه أعمال تلاحقت، ومشاغل لم أستطع منها فكاكا، حتى شاء الله أن أجد فسحة من الوقت، فَقَدَّرني ربي على كتابته وإتمامه، وكنت قبل هذا الوقت حاولت أن أكتب فيه، ولكن كان

يضيق صدري بعد أن أبدأ الكتابة، فقد كنت متخوفا من الكتابة في موضوع زلَّت فيه أقلام كثير من الناس، وضلَّ فيه كثير من الذين أُعْطُوا ذكاءً وفطنة.

لقد كان هذا الباب ولا يزال من أعوص الأبواب التي خاض فيها الخائضون، وكثير من أهل الضلال أُتُوا من الانحراف في باب القدر، وكم من خائض فيه يظن نفسه محسنا، وهو قد تاه وحار، وتنكب الطريق.

يقول العلامة ابن القيم مقدما لكتابه «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»: «سلك جماهير العقلاء في هذا الباب في كل واد، وأخذوا في كل طريق، وتولجوا كل مضيق، وركبوا كل صعب وذلول، وقصدوا الوصول إلى معرفته، والوقوف على حقيقته وتكلمت فيه الأمم قديما وحديثا، وساروا للوصول إلى مغزاه سيرا حثيثا، وخاضت فيه الفرق على تباينها واختلافها، وصنف فيه المصنفون الكتب على تنوع أصنافها، فلا أحد إلا وهو يحدث نفسه بهذا الشأن، ويطلب الوصول فيه إلى حقيقة العرفان، فتراه مترددا فيه مع نفسه، أو مناظرا لبني جنسه، وكل قد اختار لنفسه قولا لا يعتقد الصواب في سواه، ولا يرتضي إلا إياه.

وكلهم إلا من تمسك بالوحي عن طريق الصواب مردود، وباب الهدى في وجهه مسدود، تحسى على غير طائل، وارتوى من ماء آجن، قد طاف على باب الأفكار، ففاز بأخس الآراء والمطالب، فرح بما عنده من العلم الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وقدم آراء من أحسن به الظن على الوحي المنزل المشروع، والنصِّ المرفوع، حيران يأتم بكل حيران، يحسب كل شراب ماء فهو طول عمره ظمآن، يُنَادَى إلى الصواب من مكان بعيد، أقبل إلى الهدى فلا يستجيب إلى يوم الوعيد، لقد فرح بما عنده من الضلال، وقنع بأنواع الباطل وأصناف المحال، منعه الكفر الذي اعتقده هدى، وماهو ببالغه عن الهداة المهتدين،

ولسان حاله أو قاله يقول: أهؤلاء الذي مَنَّ الله عليهم من بيننا، أليس الله بأعلم بالشاكرين»[1]

لقد رأيت مصداق ما قاله ابن القيم في كلامه الذي نقلناه عنه فيما اطلعت عليه من كلام الخائضين في القدر قديما وحديثا، فكنت أخشى على نفسي من الخوض في هذا الموضوع والكتابة فيه، وكان يدفعني إلى الكتابة فيه الرغبة في إتمام هذه السلسلة، وسؤال كثير من طلبة العلم عن أوان صدور هذا الكتاب.

فاستعنت بالله، وأوغلت في هذا الباب برفق، متأسيا بمنهج أهل العلم ممن شُهِدَ له بالاستقامة والإمامة في الدين والعلم، ولذلك فقد أكثرت من النقول فيما كتبت في هذا الكتاب، وأكثرت من أقوال أهل التقى والصلاح من سلفنا الصالح اتباعا لسبيل المؤمنين، أملا في أن لا ينحرف بي المسار، ولا أضل في منحنيات الطريق. ولقد كانت آيات الكتاب وأحاديث الرسول ﷺ هي الأنوار التي أستضيء بها في المسار الذي سلكته، والعلم الذي دونته، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإني لأرجو من أهل العلم تسديد ما زلَّ فيه القلم، وتعثر فيه الفكر، وشرد به القول.

وقد جاء هذا الكتاب بعد هذه الفاتحة في سبعة فصول:

بينت في الفصل الأول وجوب الإيمان بالقدر، وقررت أن الإيمان به أصل من أصول الإيمان.

وألقيت في الفصل الثاني نظرة عجلى على تاريخ القول بالقدر.

والفصل الثالث مخصص لتعريف القدر وبيان أركانه.

---

(١) شفاء العليل : ص ١٤.

وقد عقدت فيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مخصص للتعريف بالقدر.

وفي **المبحث الثاني**: عرفت القضاء مبينا الصلة بينه وبين القدر.

وذكرت في **المبحث الثالث** أركان الإيمان بالقدر التي لايتم إيمان أحد به مالم يؤمن بها.

والمبحث الرابع: معقود للتدليل على أن أفعال العباد مقدَّرة مقضية مخلوقة لله عز وجل، وقد أوردت كثيرا من النصوص الدالة على ذلك من الكتاب والسنة.

والفصل الرابع جعلته لبيان حدود نظر العقل في القدر، وبيان ما يمكنه إدراكه ومالا يمكنه في هذا الباب.

والفصل الخامس معقود لبيان المذاهب في القدر وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ذكرت فيه مذهب المكذبين بالقدر، وأوردت فيه مذهبهم، كما بينت ضلالهم، ومحاورات العلماء لهذا الفريق، كما أوردت ما يظنونه أدلة تؤيد مذهبهم، وهي في الواقع شبهات لا تكاد تسلط عليها أضواء الحق حتى تتلاشى وتزول لمن هداه الله وشرح صدره للإيمان.

والمبحث الثاني: مخصص لبيان المذهب الذي أضل الأمّة وعطل عقول أبنائها وشل إرادتهم وحركتهم، وعطَّل طاقاتهم وجَيّر أعمالهم لأعداء الإسلام، ألا وهو مذهب القدرية المجبرة الذين تركوا العمل، احتجاجا بالقدر.

وقد بينت أنهم ضلوا من سبعة أوجه.

والمبحث الثالث: خصصته لبيان مذهب أهل السنة والجماعة، وقد عقدت له ثلاثة مطالب، سقت في كل مطلب منها عَقِيدةً دونها عالم من علماء أهل السنة في باب القدر.

والفصل السادس: جعلته لبيان السبب في ضلال العباد في باب القدر.

وذكرت في **الفصل السابع** والأخير بعض الثمار الطيبة للإيمان بالقدر.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في تجلية هذا الأصل، كما أسأله أن ينفع به عباده، إنه نعم المولى ونعم النصير، وهو حسبي ونعم الوكيل.

د. عمر سليمان الأشقر
٢٥ من رجب ١٤١٠هـ
١٩٩٠/٢/٢١

obeikandl.com